قصص مكارم الأخلاق

دموع الحب

أرول أركون



دار النيل

قصص مكارم الأخلاق

دموع الحب

وفي تلك اللحظة سقطت دمعتان من عينيه الخضراوين فوق أوراقي، وكانت هاتان الدمعتان هما أُولى مياه حياتي، وتمنَّيت أن أعبِّر عن أحاسيسي بهذه الطريقة, ولكنَّها بلا جدوى؛ لأنَّه لم يكنْ باستطاعتي أن أُبادله هذه الأحاسيس، وأتمنى أنَّه فهمني.





دموع الحب


بسم الله الرحمن الرحيم

دموع الحب

تأليف

أرول أركون

ترجمة

محمد عبد الغني

دموع الحب

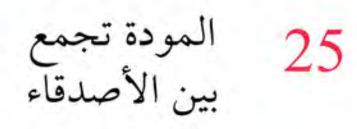
قصص مكارم الأخلاق - ٨

الطبعة الأولى: 1434 هـ - 2013 م

تحرير
يوكسل جلبنار
مراجعة
عبد المولى على جربيع
تصحيح
د.عبد الجواد محمد الحردان
الإخراج الفني
أنكين جيفجي
غلاف وتصميم
ياووز يلماز - أحمد شحاتة
رقم الإيداع ISBN:978-975-315-635-6
رقم النشر
511
IŞIK YAYINLARI
Bulgurlu Mah. Bağcılar Cad. No:1
Üsküdar - İstanbul / Türkiye 34696
Tel: +90 216 522 11 44 Faks: +90 216 650 94 44
دار النيل للطباعة والنشر
الإدارة: 22 ج- جنوب الأكاديمية- التسعين الشمالي
- خلف سيتي بنك- التجمع الخامس- القاهرة الجديدة - مصر
5-Tel & Fax: 002 02 26134402
Mobile: 0020 1000780841
E-mail: daralnile@daralnile.com
مركز التوزيع: ٧ ش البرامكة - الحي السابع - مدينة نصر - القاهرة - مصر
Mobile: 0020 1141992888

فهرس











صاحب الفكر يربح

الحمد لله، يومنا هذا كانت فيه بركة كبيرة، ثم دندن قائلًا:

- لقد بعتُ كلَّ السَّمِيط. ثمَّ أدخل يديه الباردتين في جيبه، وما إن لمست يده اليسرى القطع النَّقدية في جيبه، حتى سرَت حرارتها إلى سائر جسده.

ابتهج، ثمَّ قال -وهو يداعب النُّقود-:

- إن شاء الله تكتملين غدًا.

إنَّ بيع السَّمِيط في أيام الشتاء صعب جدًّا، لكنه استطاع -بعون الله- أن يحمل طاولة السَّمِيط على رأسه دون أن يمسكها بيديه؛ وهكذا استطاع أن يحمي يديه من البرد.

تعِب كثيرًا؛ فقد بَدأت الدراسة منذ ثلاثة أشهر، فصار يذهب في الصباح إلى المدرسة، وبعد الظهر يبيع السَّمِيط، وكلَّما شعر بالبرد تذكَّر والده الذي فقده قبل عامين.

كان أبوه يوصيه:

- يا بنيَّ لا تخرج إلى الشارع في البرد؛ أخشى أن تمرض؛ وبدأت الدموع تذرف من عينيه على وجنتيه كأنها حبّ الرمّان، ولا يعلم هل هي من البرد أم من الاشتياق إلى والده؟

وعندما اقترب من الفُرن الذي يشتري منه السَّمِيط، مسح عينيه بباطن يده؛ فهو لا يحبُّ أن يلحظ أحد دموعَه، وهذا ما كان يريده منه والده دائمًا.

عادةً يسلِّم الطاولة ونقود السَّمِيط إلى الخبَّاز، ويأخذ رِبْحه وينصرف، ويتردد على الخبَّاز كلَّ يوم...

الخباز:

- أهلًا وسهلًا يا بُنيَّ.

- أهلًا بك يا عمُّ.

- هل تريد من فُتَات الخبز الباقي مرَّةً أخرى؟

- نعم، رغيفين.

نظر الخبَّاز نظرة المتفحِّص، ثمَّ قال:

- أنت اليوم تبدو أكثر حزنًا.

- الطقس خارج الفرن بارد جدًّا يا عمُّ، فوجه الإنسان يتجمد رغمًا عنه.

- أنت على حقٍّ يا ولدي، هذا واضح من الضَّباب على

الزجاج؛ فمع أني لم أخرج اليوم مطلقًا كنت أقول في نفسي: الجوّ اليوم باردٌ جدًّا.

عرف الخبّاز ما بداخله، فقال له وكأنه أحسّ بما يدور في ذهنه:

- خذ خبزك، واذهب إلى بيتك فورًا، ولا تمرَح في الخارج؛ فبرودة الطقس تزداد في المساء.

وكان الخبَّاز يعتقد أنَّه يأتي من البيت، وكان الولد يعتقد في زمن والده أنَّه لا أحدَ يخرج من منزله في البرد، ولما رأى أناسًا ينامون في الشوارع أدرك لماذا يخرج الناس في البرد القارس.

الخباز للطفل:

- هل تُطعم هذا الخبز لكلبك؟ أحسنت، لا ينبغي أن نهمل حيوانًا قط ولو في البرد؛ فمُعظم الحيوانات المسكينة تتضوَّر جوعًا في الشتاء، لا شكَّ أن الله يُثِيبُك كثيرًا على هذا.

ابتلع الطفل ريقه ثمَّ قال:

- يا عمّ أنا لا أشتري الخبز لكلابي.

- إذًا فلمنْ تشتريه؟

- لنا نحن، فنحن نأكله، ففُتات الخبز الباقي فيه بركة؛ وأيضًا فيمكنني أن أشتري رغيفين من هذا الخبز بثمن رغيف واحد.



اندهش الخبّاز وخجل قليلًا، ثم فتح الدُّرْج، وأعاد إليه النقود، وقال:

- الخبز اليوم هدية منّي لك.

فارتعش الطفل أكثر من رعشته من البرد وهو خارج المخبز. بخجَل:

- لو سمحت يا عمُّ، أعطِها للمحتاجين.

أطال الخبّاز النَّظر في الطِّفل، وكاد يقول:

- أنت أيضًا محتاج يا ولدي، لو لم تكن محتاجًا لما اشتريت فتات الخبز الباقي؛ ثمَّ قال:

- حقيقةً أنا لم أُقدِّم لك شيئًا، انظر، الخبز البائت هناك، فإنْ شئت أعطيتك خبزًا صابحًا بثمن الخبز البائت.

انهارت قُوى الطفل، لكنَّه لم يشأ أنْ يكسر خاطِر الرَّجل المسنِّ؛ فحُسن نيَّته لا يخفى، ثم قال بصوت عذب رخيم:

- قرأت يا عمِّ في الكتب الدراسيَّة أنَّ على النَّاس الأصحَّاء العمل، وعليهم أن يكِدُّوا ويكسبوا من عرق جبينهم؛ لهذا أعمل -ولله الحمد- لأكْسِب ما أسدُّ به جوعي، ووالدتي تعمل في تنظيف البيوت أحيانًا.

- إذًا لِـمَ تشـتري الخبـز البائـت يـا ولدي؟ ولا تشـتري الخبز الصابح؟

لا يود الطفل أنْ يحكي كلَّ شيء، لكنَّه لا يريد أن يترك هذا الشيخ المَرِح حائرًا، فقال:

- علّمنـي والـدي أنّ علـى الإنسـان أنْ يُغذِّي العقـل بقدر ما يُغذِّي جسمَه على الأقلّ.

- وهل توفي والدك؟

- البقاء لله وحده؛ لقد تُوفِّي منذ عامين وأنا في الصفِّ الرابع بمرض السَّرطان.

-أنت تعمل فقط أم تذهب إلى المدرسة أيضًا؟

- أنا في الصف السَّادس، أذهب إلى المدرسة صباحًا، وأبيع السَّميط بعد الظهر.

ثم أَخرج ملء يده نقودًا معدنيّة، وقال:

- هـذه النُّقـود هـي ربـح اليـوم، ثـمَّ أخـرج غيرهـا مـن جيبه الأيسر، وقال:

- وهـذه أيضًـا وفَّرتهـا من ثمن الخبـز، هل عرفت كيف أوفِّر من ثمن الخبز؟

ثم ابتسم ابتسامةً عذبة وقال: سأحكي لك:

- كم ثمن رغيف الخبز؟

- خمسون قرشًا.

- والرغيفان بكم؟

- بمائة قرش.

لـم يُـدرِك الخبّاز سـرّ هذه الأسـئلة، ولـمَ وصل بهمـا الحوار إلى هذه الأسئلة.

- أنـا آخـذ رغيفين مـن الخبز البائت بدلًا مـن الصابح؛ فكم أربَح؟ طبعًا أربَح خمسين قرشًا.

نعـم، كان ربحـي خمسـين قرشًـا، والخبـز البائـت فيـه بركة، فنصـف رغيـف بائت يُغني عن رغيف صابـح، فيضاف إلى الرِّبح خمسة وعشرون قرشًا أيضًا.

حاول الخبَّاز أنْ يفهم ما يقوله الطفل، وهو يحكُّ رأسه بيده اليمنى.

الطِّفل:

- انظر؛

وأظهـر نقـودًا كانـت في يـده اليسـرى، هذا هو ربحـي طَوال الأسبوع.

نظر الخبَّاز إلى الطِّفل بإعجاب شديد.

الطفل:

- أوصاني معلمي بقراءة كتابين، سأشتريهما بهذه النقود، فيصبح لديّ تسعة كتب، وقد قرأت الكتب السبعة الأخرى بمثل لمح البصر.

الخباز متعجبًا:

- يعني هل الكتاب عندك أهمّ من الخبز الصابح؟!

فتح الطفل الباب قبل أن يُنهي الخبَّاز سؤاله، وانصرف وهو يقول:

- لا تقلق؛ فستعرف أنَّ الكتاب أفضل وأغنى وأبقى.

ثمَّ أغلق الباب بهدوء وودَّع الخبّاز، وما زال الخبَّاز المسنُّ يُتبِع بصرَه، وينادي عليه بقوله:

- أنت رجل كبير يا ولدي.

وتساقطت دموعه على المنضدة وواصل كلامه قائلًا:

- فقد أسرفْنا في غذاء الجسد وقصّرْنا في غذاء العقل والروح، وما السعادة والسيادة والحياة الطيبة إلا بتكامل غذاء الروح والعقل والجسد.

بكم أبيع؟

أنا اليوم مُفْعَمٌ بالنَّشوة، هل تعرفون لماذا؟ لأني سأصوم غدًا، وهل تعلمون ماذا يعني ذلك؟ إنَّ هذا مهمٌّ جدًّا عندي؛ فأنا لم أصمْ من قبلُ يومًا كاملًا، فقبل العام الماضي كنت أتسحر ولا أصوم، وفي العام الماضي بدأت أصوم حتَّى الظُّهر، وكان والدي يشتري منِّي صومي كلَّ يوم، فاشتريت لعبة في العيد بالنُّقود التي ادَّخرتها.

قال لي والدي:

- لن أشتري صومك هذا العام؛ فأجر صيام يوم كامل غالٍ جدًّا، ولا أملك ثمنه، ولكن سنبيعه لأحد الأغنياء ممن نعرفهم.

أنا فَرِح جدًّا؛ فقد أستطيع أنْ أشتري بتلك النُّقود حاسوبًا؛ وأخيرًا سأستيقظ للسُّحُور هذه اللَّيلة.

هل أستطيع أن أتحمَّل صيام يومٍ كامل؟! عليَّ أنْ أتحمَّل؛ فالمكافأة رائعة، ناداني أبي وأنا أفكِّر في ذلك:

- صغيري يوسف.

- لبيك يا أبي.

- ألا تذهب لصلاة التَّراويح؟

- بلى يا أبي، لكني نسيت؛ فهذه أوَّل صلاة تراويح نحضرها.

صلَّيت التراويح في العام الماضي عدَّة مرَّات، إنَّها ممتعة جدًّا، ولكنَّها كانت طويلة نوعًا ما؛ حتى إنَّ بعض أصحابي لم يستطيعوا أن يُتِمُّوا الصَّلاة، لكنِّي أتممتها حتى آخرها مثلما فعل والدي، وبينما أفكِّر نادى عليَّ والدي مرَّةً أخرى:

- يا يوسف، يا ولدي!

- تفضَّل أبي.

- هل ستصلِّي التراويح؟

- طبعًا يا أبي؛ فأنا لا أتخلَّف عنها أبدًا.

- هيَّا إذًا لنتوضَّأ؛ فوالدتك قد توضَّأَتْ قبلَنا.

ما كنت أُحسِن الوضوء تمامًا، خاصَّة الترتيب في غسل الأعضاء، فتوضأت كما توضَّأ والدي دون أن يشعر أنِّي أُتابِعه، ثمَّ ذهبنا إلى المسجد، وكان ممتلئًا، ولو تأخَّرنا قليلًا لصلينا خارجَه، وبينما أصلِّي كنت أفكِّر هل أستطيع أن أتمَّ صوم غد أم لا؟

نمت مبكِّرًا في تلك الليلة، ولما أيقظتني أمي للسُّحُور تثاقلْتُ؛ فالنوم كان ممتعًا، ثم نهضت بصعوبة، وغسلت وجهي، وفتحت النَّافذة؛ وكانت أصوات الطيور ملأى بالنَّشاط والحيَويَّة، فقلت في نفسي «يا لَلَعَجب ألا تنام تلك الطُّيور أم أنَّها نهضت للسُّحُور أيضًا؟»

كانت أنوار المنازل تُضاء شيئًا فشيئًا، ثمَّ استيقظ الحيُّ بكامله، استمتعت بالسَّحُور، ثم صلَّينا الفجر ونِمنا، ومن حسن حظي أنَّه يوم عطلة، فنمت حتى الساعة العاشرة، وكنت أَتُوق لإفطار شهيّ، لكنِّي شعرت بالجوع الشَّديد في الساعة الثَّانية تقريبًا، ولم يحن وقت المغرب بعد، فكيف سأتحمَّل؟ خطر ببالي أن أُفطر، ولكنِّي تراجعت فورًا؛ فأنا أنتظر هذا اليوم منذ عام.

كان أوَّل موعد للإفطار مهمًّا جدًّا عندي؛ ففيه سأتعرَّف على الشَّخص الغنيّ، وسأطلب منه حاسوبًا إذا صمت ثلاثين يومًا، فعليّ أن أتمّ صوم هذا اليوم إذًا.

خرجت إلى الشُّرْفة، يا ربّ ما هذا؟! طفل صغير يجمع الخُبز من القُمَامة، وينفخ عنه الأوساخ ثمَّ يضعه في كيس، كانت ملابسه مُتَّسخة، ووجهه عابس، تشوَّفت جدًّا لمعرفة حالته، ونزلت مسرعًا لأتحدَّث معه، وقفت بجواره، فخاف خوفًا شديدًا



عندما رآني، وبدأ يرتجف، فقلت له:

- ماذا تفعل؟

- أجمع فُتات الخبز يا أخي.

تلطّفت بكلامي وقلت:

- وماذا تفعل به؟

فخَجِل وغَصَّ بالكلام، قلت في نفسي لعله يحمله للأبقار، لم يخطر في بالي شيء غير هذا، ثم قال بصوت خافت:

- سنأكله عند الإفطار يا أخي.

فجاء دوري لأغَصّ وأتلعثم وأنا أقول له:

-هل ستأكلونه؟!

اضطرب مرّة أخرى، ثمَّ قال:

- والله سنأكله.

كنت قديمًا عندما أرى الأطفال يبحثون في القُمامة، أغضب منهم غضبًا شديدًا، والآن عرفت السرّ، ولو لم أكن صائمًا اليوم لما شعرت بحالتهم؛ فتماسكت بصعوبة كي لا أبكي، ثم قلت:

- أليس لك أهل وأقارب؟

- بلى، أمي وأخي، لكنَّ والدتي مريضة، وأخي صغير.

- ووالدك حيٌّ؟

- لم نستطع أن نشتري له الدواء؛ فتُوفِّي العام الماضي...

لم أستطع أن أتحمَّل أكثر من هذا، فقلت وأنا أتلعثم بكلماتي:

- هل سترجع إلى هذا المكان مرَّةً أخرى؟

ارتعد الطفل من الخوف ثم قال:

- والله لن أرجع، أقسم بالله أنِّي لن أرجع.

-لا تخف؛ أنا أتمنى أن ترجع غدًا، انظر، نحن نسكن في الطابق الرابعة من هذه العمارة، ستزورنا... أليس كذلك؟

قال وهو يتردَّد:

- أخشى أن أوسِّخ لك منزلك!

- لا تقل هذا، قل لي: ستأتي أم لا؟.

هزَّ الطفل رأسه، ثمَّ أخذ كيسه ومضى، وأنا أُتبعه بصري، فحزنت عليه حزنًا شديدًا؛ بينما أنا أحلَم بالحاسوب يحلَم هذا بفتات الخبز، فقلت في نفسي لا أريد حاسوبًا، وإنَّما أريد أن أساعده فقط.

حان وقت الإفطار، وأعدَّت أمي مائدة الطَّعام، كان على المائدة كلُّ شيء من الأطعمة المختلفة، والسَّلطة، والحُلْو، لكن ذهني مشغول، فلا أرى سوى ما يشغل ذهني.

لـم يسـتطع والـدايَ أن يفسّـِرا مـا أصابنـي، كانا ينظـران إليّ، ويظنّان أنّ الجوع هو وراء كلّ هذا الفتور.

لقد أنجزت عملًا كبيرًا، لكنّي لم أستطع أن أفرح، ومع هذا تشـوّقت للـذي سيشـتري صومـي، وظننـت أنَّ أبـي سـيدعوه إلى الإفطار.

- أبي العزيز أين الشخص الذي سأبيعه صومي؟

- هنا يا ولدي.

- هل هو هنا أم أنت من سيشتري صومي مرَّةً أخرى؟

قال أبي:

- إنّني لا أملك ثمن هذا.

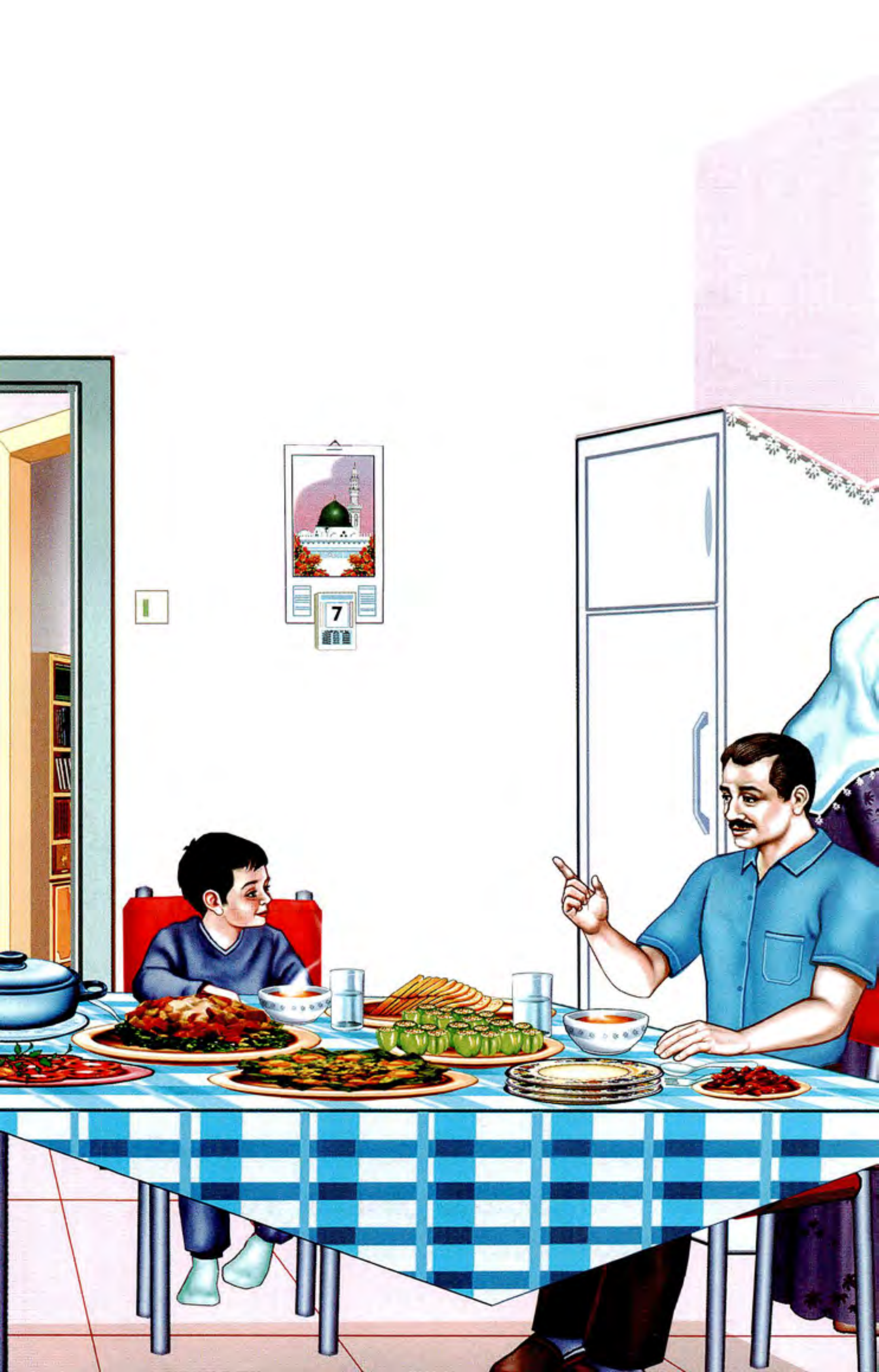
-نعم هنا يا ولدي، يقول الله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد ٤].

لـم أفهـم مـا يقصـده أبي وقلـت في نفسـي «لماذا يقـول أبي هـذا؟» هـل هـو هنا بالفعل؟! مـا معنى هذا؟ ولماذا لا أسـتطيع أن أراه؟! وكيف سأبيعه صومي؟!

- إنك بعت صومك الآن؟

- كيف؟!

- نعم، بعت في اللّحظة التي فطرتُ بالتمر.



فهمت ما يقصده والدي، فقلت:

-الآن فهمت يا أبي، أنا بعت صومي لله، أليس كذلك؟

- بلى يا ولدي، إنّ الله وحده هو الذي يَجزي الأجر على الصوم، فالصوم ثوابه عظيم جدًّا، وفي الجنة باب لا يدخله إلا الصائمون، طبعًا أنت تعرف اسم ذلك الباب...

- بالله عليك يا أبي، كان بوسعك أن تخبرني بهذا من قبل.

ابتسم والدي ابتسامة عذبة، ثم نظرتُ إلى والدي والحزن يقتلني، لكنَّ كلماته جعلتني سعيدًا، وذكرتني أنَّ عليَّ أنْ أصوم ابتغاء مرضاة الله تعالى لا من أجل شيء آخر؛ وتذكَّرت الطِّفل الذي كان يجمع الخبز من القُمامة مرَّةً أخرى، فقلت في نفسي:

- عليَّ أن أنسى الحاسوب، ويجب أن أساعد هذا المسكين.

وفي تلك اللحظة جالت بخاطري فكرة، فقلت لوالدي:

- والدي، أليس من الممكن أن أبيعك جزءًا من صومي؟

- أنت ستبيع صومك كلَّه لله، فكيف تبيعني جزءًا منه؟

- لا بأس يا أبي! فلو بعتك جزءًا منه فإنّ الله سيشتريه مرَّةً أخرى.

- لم أَفْهَمْ.

حكيت لوالدي عن حالة الطِّفل وأهله، وقلت:

- علينا مساعدة هذا الطِّفل، وكانت والدتي تصغي إليَّ باهتمام، فتأثَّرَا تأثُّرًا شديدًا، وفاضت العيون بالدموع.

قلت بصوت خائف:

- سنساعد هذه العائلة، أليس كذلك يا أبي؟

- بالتأكيد يا صغيري، فهذا هو الهدف من الصَّوم في الحقيقة، أحسنت صنعًا يا ولدي!

وتخلَّيت في ذلك الوقت عن شراء الحاسوب؛ فمن الممكن أن أشتريه فيما بعد، أمَّا لو مات أحد من الجوع فنحن سنحاسب عليه، فسعادة هذا الطفل الذي لا أعرف اسمه أهمُّ عندي من كلّ شيء.

ليت لي جناحًا أطير به، فلا أدع طفلًا جائعًا أو عاريًا أو جاهلًا إلا ساعدته وقدمت له ما أستطيع، فغاية ما أتمناه هو محبّة الله، وأَحَبُّ الخلق إلى الله أنفعُهم للناس.

لكلّ منا سَجَّادة

في صباح يوم عيدٍ جميل، أهدَت الشَّمس للأرض ما بقي من أشعَّتها الصيفية؛ فإذا بوجه الأرض مُزهر برَّاق كوجوه أهلها.

انقضى شهر رمضان بكلِّ خيراته وبركاته، وقد غمرت المؤمنين سعادةُ إدراكهم له في هذه السنة المباركة، وكان أوَّل أيام العيد هو يوم الجمعة، وهو يوم مبارك أيضًا.

افتُتِح مسجدنا لأول مرّة في ليلة القدر، فامتلأ بالمصلِّين يومها؛ وأصبح جاهزًا لصلاة العيد، فاجتمع لأهل الحيّ ثلاثة أعياد: الفطر، والجمعة، وافتتاح المسجد.

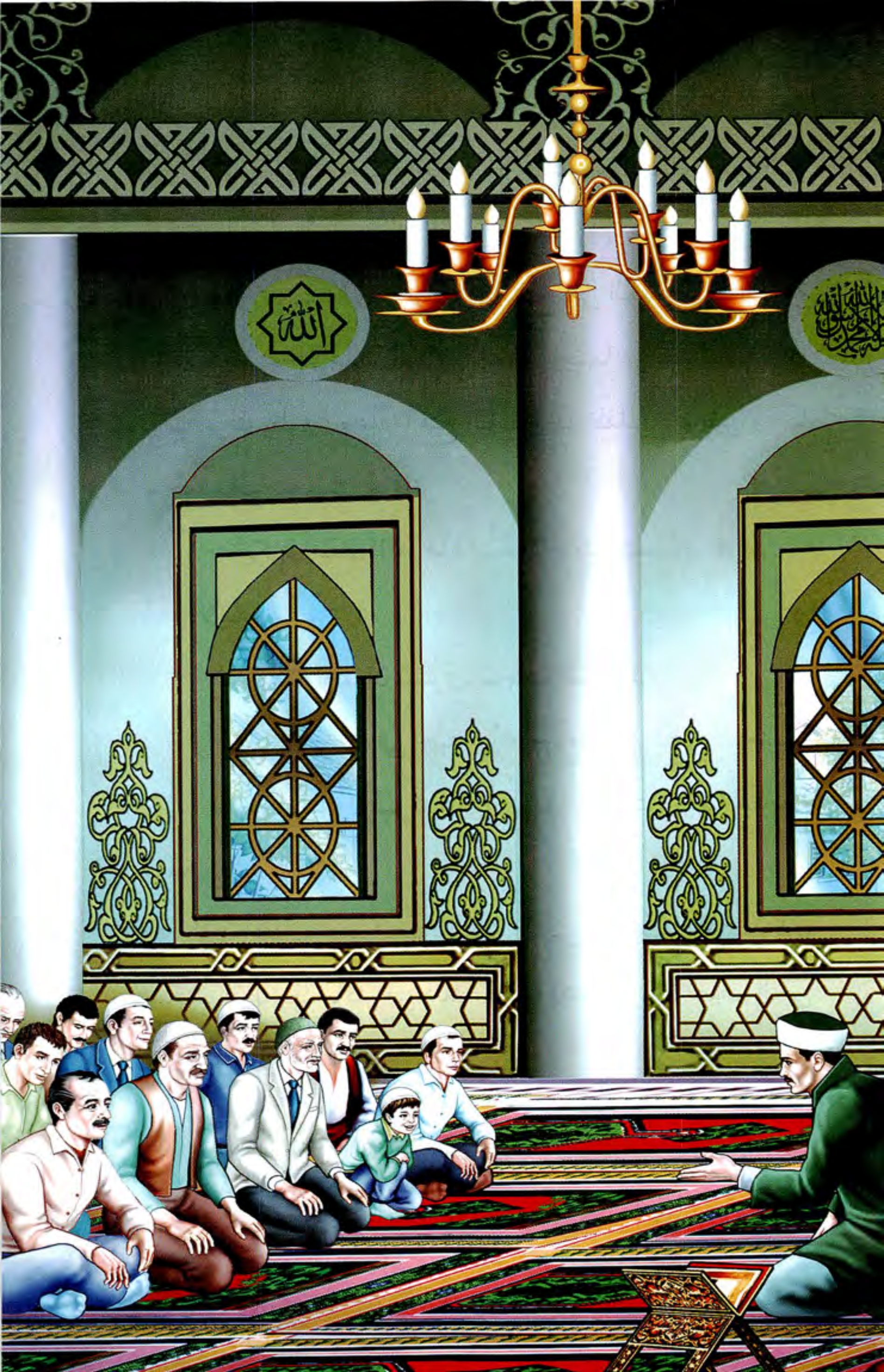
كان شيخ المسجد سعيدًا جدًّا، هنَّأ الجَمْع بالعيد، وألقى كلمة مؤثِّرة، قصَّ فيها قصَّة بناء المسجد، ودعا لمن أسْهَمَ في بنائه، ثمَّ قال: تمَّ إنشاء هذا المسجد بفضل الله ثم بجهود أهل الحيِّ، ثمَّ قال في ختام كلمته:

- نعم إخوتي الأجلّاء، إنَّ هذا المسجد الجميل أصبح على هذا الوضع بفضل الله تعالى، ثم بفضل جهدكم كما تعلمون، ونسأل الله أن يتقبل سعيكم وجهدكم، وأسأله أن يرضى عنكم؛ أعلم أنَّنا أثقلْنا عليكم كثيرًا، وربَّما قدَّمتم مساعدات فوق طاقتكم بكثير، وأنا أنتظر منكم أكثر من ذلك، وكما ترون فإنَّنا قد فرشنا مسجدنا بالسجاجيد، وقمنا بعمل نظام للإضاءة والصوت، وعلينا الآن دَين يقدَّر بسبع وعشرين ألفَ ليرةٍ للسجاجيد، واثني عشرَ ألف ليرة لنظام الصوت، وقد وعدَنا ثلاثةٌ من إخواننا المقيمين خارج الوطن بقضاء دين نظام الإضاءة والصَّوت، وأما الدَّين الآخر فليس له باب يُطرق غير بابكم.

وتابَع الشيخ كلمته وهو يقلِّب نظره في الجمْع:

- ترون أنَّا فرشنا المسجد بسجادة كبيرة، وثمن المتْر عشرون ليرة؛ فنأمل المساعدة من المحسنين بصكّ يُسلَّم لِلَجْنة المسجد، ثم تُحضِرون قيمته فيما بعد.

كان الشيخ سعيدًا جدًّا باهتمام الجَمْع، وشكَرهم جميعًا؛ ثم أقيمت الصلاة، وبعد الصلاة حيَّا كلٌّ منَّا الآخر بتحيَّة العيد، وكان الجَمْع قد صفَّ صفوفًا طويلة أمام منضدة المساعدات، ووجوههم جميعًا ضاحكة مستبشرة؛ أُحصيت المساعدات



الله

التي قُدِّمت، وتمَّ تجهيز محاضر الإحصاء، وسُلِّمت النُّقود التي جُمعت إلى لَجنة المسجد، فقُضي نصف الدَّين.

وبعد ان انصرف الناس، عاد الشيخ إلى المسجد في الساعة الحاديةَ عشرةَ؛ للإعداد لصلاة الجمعة، وبينما هو يُعِدُّ للصلاة إذا بباب غرفته يُطْرَق، وعندما فتح الباب وجد طفلين متقابلَين وجهًا لوجه، وهما يتصبَّبان عَرَقًا:

- خيرًا يا أطفال؟! ما هذا الذُّعْر؟! فأنتم تتصبَّبون عرقًا.

الأشقر منهما:

- لا شيء، نريد أنْ نشتري سجادة للمسجد.

وأدخل الآخر يده في جيبه، وأخرج زُمْرةً من النُّقود المعدنيَّة:

- لدينا عشرون ليرة، فنحن نريد أن نشتري بها سَجَّادة ونعطيها للمسجد.

لقد أعطانا هذه النُّقودَ الكبار الذين هنَّأناهم بالعيد، وكان يمكننا أن نأتيك بأكثر من ذلك، لكنّنا اكتفينا بزيارة نصف الحي ورجعنا حتى لا نتأخر.

تحيَّر الشيخ! ثم قال:

- فعلتم كلّ هذا لتشتروا سَجَّادة؟!



قطع الطِّفل الأشقر كلام الشيخ وهو خائف من عدم موافقة الشيخ:

- لو قلتَ هذا المبلغ لا يكفي، فقد جمعنا حلوى في كيس، فيمكن أن نبيعها ليكتمل ثمن السجّادة.

تأثَّر الشيخ كثيرًا؛ واحتضن الطفلين، ثمَّ قال:

- لا داعي يا أولاد، فهذه النُّقود تكفي لِكلٍّ منكما.

فرح الأطفال فرحًا شديدًا وتركوا النُّقود، وابتعدوا بخطًى مسرعة، وكادت دموع الشيخ تذرف لولا أن تغلَّبتْ عليها صيحاته:

- بارك الله فيكما يا أبطال، فأنتم بُناة المستقبل وجيل الحضارة المنشود.

المودة تجمع بين الأصدقاء

لماذا لا يهتمُّ أصدقائي بي، مع أنّي أفعل كلَّ شيء لأُثير اهتمامهم؟

جلس في أحد جوانب الحديقة وهو شارد، حتى إنَّ هارونَ أحبّ أصدقائه لم يكن يسلّم عليه إلا نادرًا.

كان يمزح مِزاحًا مُمْتِعًا، حتى إنَّه يُضحك الآخرين كثيرًا، ويقلِّد أصدقاءه ومعلِّميه، ونال شهرة كبيرة في هذا المجال؛ وكثيرًا ما كان يقوم بتصرّفات صبيانيَّة أثناء الدَّرس ليضحك زملاءه؛ فعاتبه الأساتذة؛ وأُطلق عليه لقب الثَّرثار، ولم يعد أحد يقدِّره حتى صديقه هارون الناصح الأمين...

هارون:

- علينا أنْ نَضْبِط تصرّفاتنا ولو في المِزاح؛ فهناك شيء يسمى آداب المُعاشرة، علينا أنْ نستخدم العبارات اللَّطيفة، فالطفل المشاغب منبوذ.

قال في نفسه:

- سيأتي اليوم الذي تفهموني فيه، وتقدِرون موهبتي، وتتحلَّقون حولي.

دقَّ الجرَس منذ فترة إلا أنَّ الذكيّ لم يسمعه، ثم انتبه فجأة، وعندما نظر حوله لم يرَ أحدًا في الحديقة، وخشي أن يغضب المعلِّم إذا دخل الصف الآن، فكان أصدقاؤه يضحكون سخرية منه؛ لأنَّه كان يضحك كثيرًا على أصدقائه في مثل هذه المواقف.

هارون:

- السلام عليكم.

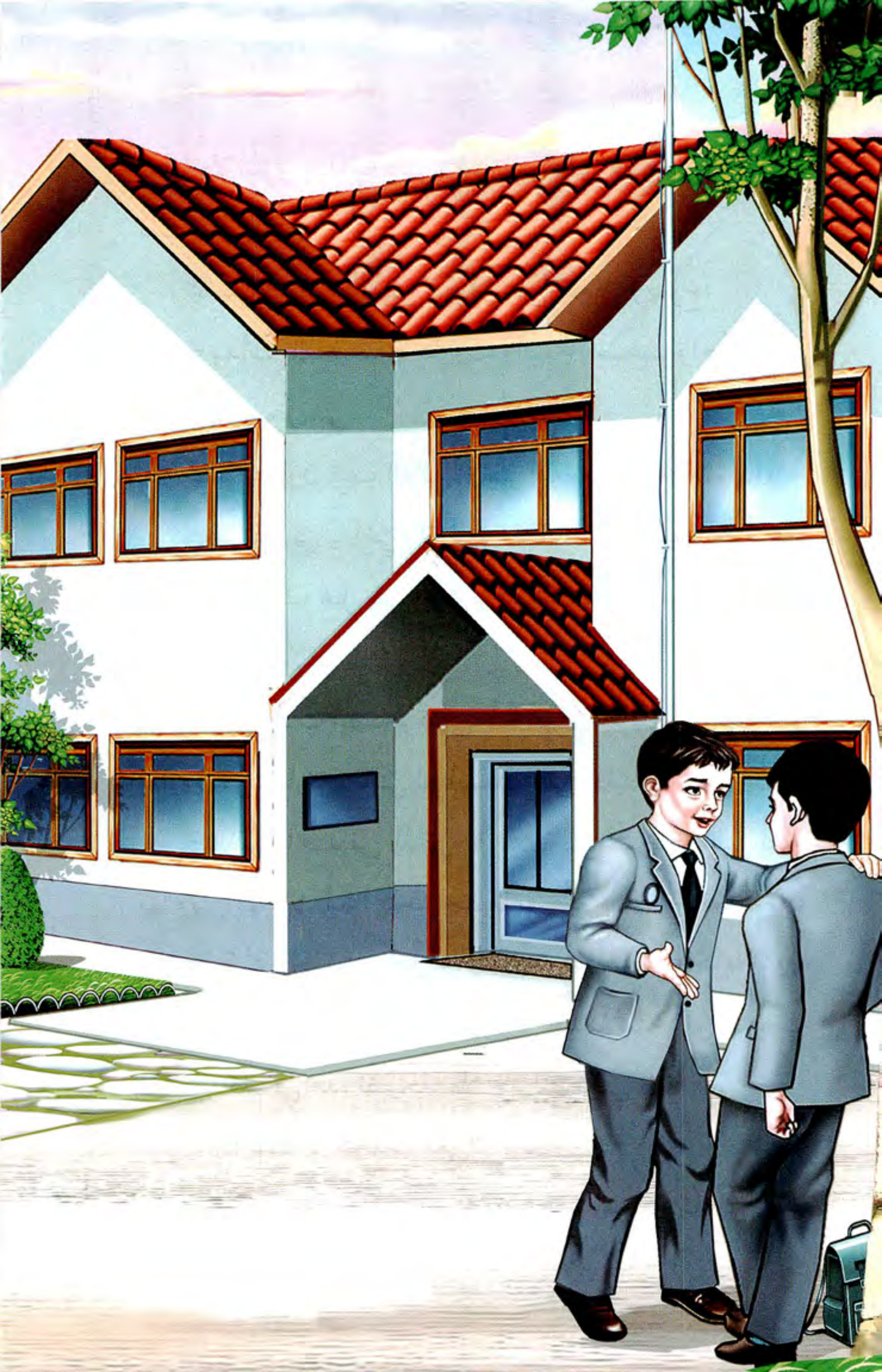
- ماذا تريد؟

- أرسلَني المعلِّم إليك.

- لن آتي إلى الدَّرس.

- حقًّا يا ذكي! كلُّ الصفِّ قَلِق عليك، ما بك؟ اعتذر للأستاذ وادخل.

- أنت تُريد أن تُثيرَ الطلاب عليَّ، أليس كذلك؟ لا تَهْزَأ بي يا هارون، لن تخدعني، فقد أعدَّ مصطفى هذه الخطة، أليس كذلك؟ يظنّ أنَّه سوف ينتقم منِّي من أجل المِزاح الذي مزحته معه أمس.



-لا ننوي هذا يا ذكي، ولا تَفْترِ على مصطفى، فالافتراء ذنب عظيم.

غضِب الذكي، ونهض بسرعة على قدَميْه، وصرخ:

- بدأْتَ بالنّصيحة يا هارون، واليوم أصبحت واحدًا منهم، تَنْتقدني وتسخر مني.

لمس هارون كتِف الذكي، ونظر إليه بعين الشُّفقة ثمَّ قال:

- لم تفهمني يا أخي، أنا أريد مساعدتك؛ فتصرُّفاتك تُزعِج كلّ مَن حولك، هل بقي أحد يرغب بأن يلعب معك، هل بقي أحد معك أصلًا؟

- بلى؛ أنت أيضًا تركتني، أنا أفهم حقيقتهم جيدًا، هم يغارون من مهارتي، لكنّي لم أفهمك على حقيقتك يا هارون.

- انظر يا صديقي الذكي، لا علاقة بين تصرُّفاتك التي تقوم بها وبين مهارتك أبدًا؛ فنحن جميعًا نستطيع أن نمزح كما تفعل، وقد قال نبيُّنا محمَّدﷺ: (**ويلٌ للذي يُحدِّث فيكذِب ليَضحك به القوم؛ ويلٌ له، ويلٌ له**)، وأنت تخلط الموازين عندما تمزح. لو سمحت لا تعتبر كلماتي هذه نصيحة، فلا حدَّ لنصيحتي لك.

- إذًا لماذا لا تتحدَّث معي؟

- لأنَّك تعتبر كلامي نصيحة، فتتضايق من كلِّ كلامي؛ لهذا

أقف بعيدًا عنك.

ثم أمسك هارون بيد الذكيّ، ثمَّ قال:

- تأخَّرنا، وقلِق معلِّمنا علينا.

لم يكن الذكيُّ يرغب بالذهاب مع هارون، وقال:

- أرجو أن لا تكون هذه حيلة، وإذا كنت تحتال عليَّ يا هارون؛ فلن أسامحك أبدًا.

- صدِّقني يا أخي، لا شيء.

- هيَّا يا ذكي تأخَّرنا كثيرًا.

فتحا الباب ودخلا الصفَّ، ولم يرفع الذكيّ رأسه من الأرض.

الأستاذ:

- خيرًا يا ذكي ماذا جرى؟! هل أنت مريض؟

تشجَّعَ الذكيّ لما سمع عبارات الأستاذ العاطفيَّة، وقال:

- لا شيء يا أستاذي، غير أنِّي لم أسمع صوت الجرَس.

وأغلق أذنيه بيديه؛ لأنَّه لم يرد أنْ يسمع قهقهات أصدقائه، وتعجبَّ كثيرًا؛ فالصف بقي هادئًا، لا أحد منهم يضحك أو يتكلّم، فرفع رأسه، ونظر إلى وجوه أصدقائه؛ فكان كلُّ واحد منهم مشغولًا بعمله؛ حتى إنَّهم تبسموا عندما التقت عيناه بأعينهم.

الأستاذ:

- هيًا اذهب إلى مكانك يا صغيري، أحيانًا تحدث مثل هذه الأمور، لقد خِفْتُ أنْ يكون قد أصابك مكروه.

خجل الذكي كثيرًا، وقال في نفسه:

- أستاذي طيّب ورحيم، بل إنَّه يظهر لي المودّة والشفقة رغم كثرة غيابي.

- أنا آسف يا أستاذي.

- لا داعي للأسف يا صغيري؛ قلتُ لك: أحيانًا تحدُث مثل هذه الأمور.

- لا أعتذر عن هذا فحسب؛ بل عن كلِّ شيء عملته...

فصفَّق له كلُّ من في الصفِّ، وكان الذكي سعيدًا جدًّا بهذا.

الأستاذ:

- أنت طفل محترم، كنت أعرف أنَّ شخصيَّتك الحقيقيَّة ستلمع في يوم من الأيام، هيًا يا ولدي اجلس مكانك.

نهض مصطفى وقال:

- تفضل اجلس بجانبي يا ذكيّ، وسيجلس هارون في مكانك.



نظر الذكي إلى وجه مصطفى نظرة تقدير وشكر، فلما رأى هارون ما حصل قال:

- الآن عرفت أننا حقًا إخوة، وأنّ كلّ واحد منّا يحبّ صديقه كما يحبّ أخاه، فنحن جميعًا مؤمنون، يساعد بعضنا بعضًا في الدراسة وأمور الحياة، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، وينصح بعضنا بعضًا أيضًا؛ فالمؤمن مرآة أخيه...

الخاتم

استيقظ مُجدَّدًا مع أذان الفجر، ما أعذب هذا الصوت! فتح النافذة؛ واستنشق هواءً نقيًّا كالمسك، كان صوت الطّيور مع صوت الأذان يشكّل ألحانًا فريدة، وشهق يوسف ثم زفَر عدَّة مرَّات، وهكذا اعتادت رئتاه استنشاق الهواء النَّقي؛ وبعد أن استيقظ من نومه أغلق النافذة وتوضّأ.

كان الاستيقاظ لصلاة الفجر شاقًّا على يوسف؛ فتارةً يتدلَّل على والدته، وتارةً أخرى يُغضبها حتى يفوِّت الصلاة، إلَّا أنَّه لا يصعب عليه الاستيقاظ صباحًا عندما يبيت في بيت جدِّه؛ ولعلَّ ذلك لأنه يستنشق هواء القرية النقيّ.

- من حسن حظِّي أنِّي أتيت إلى القرية في هذه العُطلة، أنا سعيد جدًّا هنا.

كان يستيقظ بنفسه للصلاة، ويؤدي الصلاة مع جدِّه، ولو أنَّ أمَّه رأت ذلك، لسُرَّت به سرورًا عظيمًا.

- صباح الخير يا سيِّد يوسف؛ بسم الله ما شاء الله، أنت استيقظت للصلاة!

- صباح الخير يا جدِّي الحبيب، هل سنصلِّي في المسجد؟

- نعم، سنصلِّي في المسجد، علينا أن لا نحرم أنفسنا من ثواب الجماعة، هل توضَّأت؟

- نعم، توضَّأت يا جدِّي.

- إذًا هيَّا نخرج.

وبينما كان يغلق الباب مسح على رأس يوسف، وقال:

- لا تنسَنا من دعائك يا عزيزي.

- لا أنساك أبدًا يا جدِّي الحبيب.

ومنذ أسبوع حكى له جدّه أنّ جدَّته لأبيه تعاني من مشكلة، لذلك لم يكن جدُّه ينام في تلك الليالي، وكثيرًا ما يقول له: ادع لنا بهذا الدعاء «اللهم فرِّج عنهم مهما بلغت مشكلاتهم»، ولم يذكر له السبب رغم إصراره.

خرجا معًا، وقد فاحت روائح الزُّهور المتنوِّعة، وسُمع تغريد الطُّيور، وأصوات الحشرات، وصوت رِياح الصباح العذْبة، فغدت أصوات هذه المخلوقات كالمقطوعة الموسيقية، فكانت



كأنها تعزف موسيقا مُبهِجة؛ وكأنَّ لسانَ حالها يشكر الله؛ لأنّه مَنَّ عليها بيومٍ جديد، فهي تتذوَّق طَعْم السعادة والفرحة.

نَعِمَ يوسف بهذا الجمال مدَّة أسبوعين، وكان يتمتَّع برؤيته في كلِّ صباح منذ أن أتى إلى القرية، إلا أنَّه لم يستطع أنْ يشبع منه.

قال جدُّه بعد أن أدَّوا الصلاة:

- سأذهب لأتجوَّل في الحقول.

- هلّا آتي معك يا جدِّي.

- الطَّقس بارد قليلًا؛ ولستَ معتادًا على هذا الطقس، ستبرد، إذا أردتَ ساعد جدتك فى تجهيز طعام الإفطار إلى أن آتى.

كان يوسف يشعر بشيء من البرد، فقال:

- حسنًا يا جدِّي، كما تريد، لكن هلَّا تقطف الخيار والطَّماطم الصَّابِحة من الحديقة، فأنا أُحبُّ الخضروات الصَّابِحة.

ومسح الجدُّ على رأس يوسف، وهزَّ رأسه تعبيرًا عن مُوافقته.

وفارق يوسف جدَّه؛ ليدخل الإصطبل كعادته كلَّ صباح، وكان يطعم الحيوانات التي تربِّيها جدَّتُه؛ يملأ راحته بالعلَف، ثمَّ يُطعم العجول الصغيرة، فتمدّ العجول ألسنتها الصغيرة، وتأكل العلف من راحته.

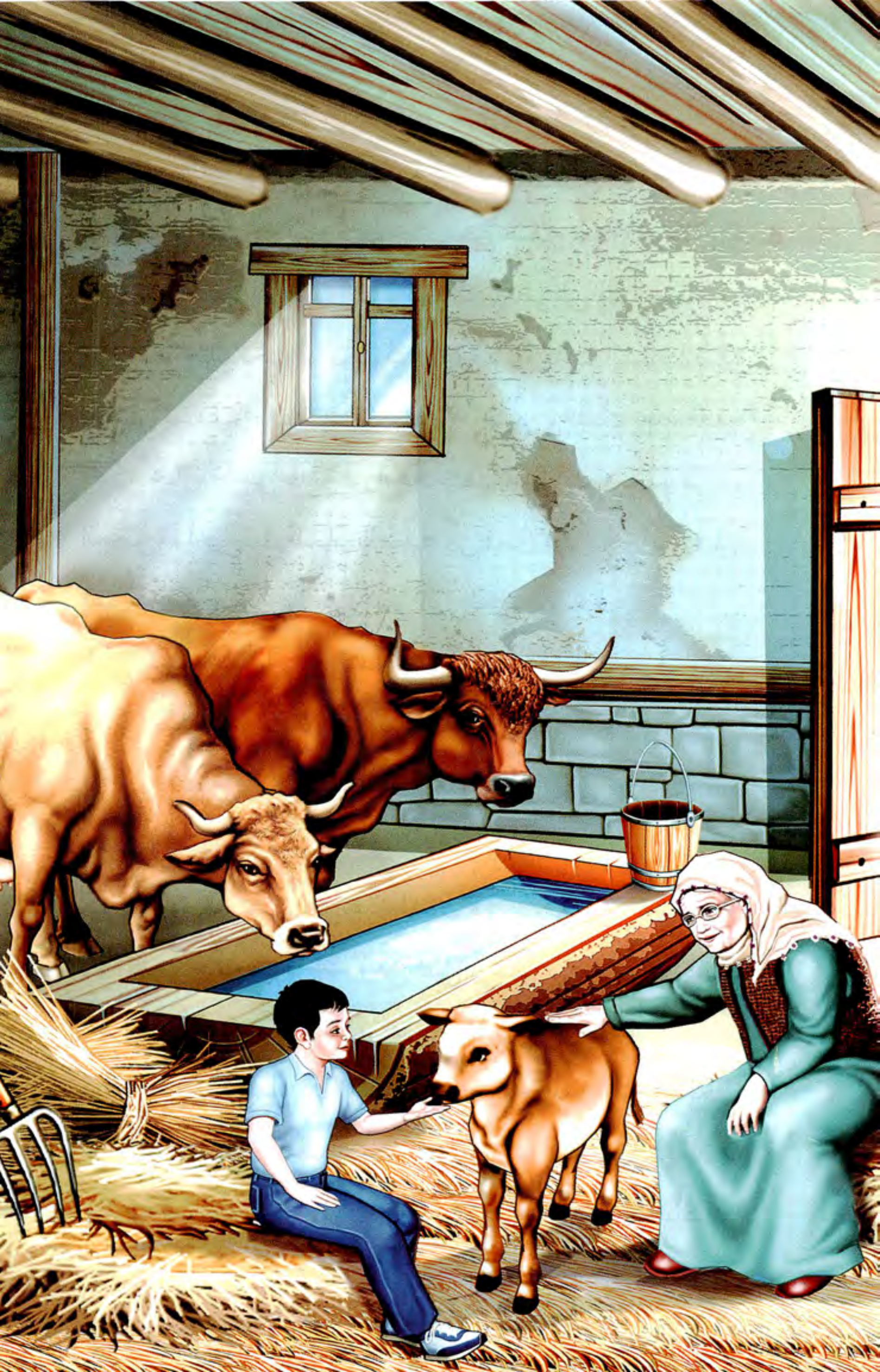
في تلك اللحظة كانت يداه تشعران بدَغْدغة، حقًّا إنّها لحظات لا تُنسى، وأثناء ذلك خارَ عجل صغير خوارًا غريبًا، ولم يستطع يوسف أنْ يفسِّر تلك الحالة، ونظر إلى فمِ العجل عن قُرب؛ فوجده يحاول أنْ يلوك مادة صُلْبة، كانت المادة الصُّلْبة تلتصق بسقف حلقه؛ إذ إنَّ أسنانَ الرَّضيع لم تَنْبُت بعد، فكلما آلمتْه خارَ، فأخبر جدَّته فورًا، فأدخلت جدَّته يدها بحذَر في فم العجل، وأخرجت المادَّة الصُّلْبة من فمه، فإذا به خاتم ذهب، فصاحت الجدّة فرحًا وهي تنظر إلى الخاتم، وتقول:

-كنت أعلم يا ربُّ، كنت أعلم، كنت أعلم أنَّك سوف تتقبَّل دعائي الذي دعوتك به ليل نهار، الحمد لله.

لم يستطع يوسف أنْ يفسِّر ما حدث، ونظر إلى جدَّته بشغف، وهو يقول لها:

- الله! الله! ماذا يفعل هذا الخاتم في فم العجل؟

كانت جدَّته تشكر الله، وهي تقبِّل يوسف بين عينيه، فازدادت حيرةُ يوسف كثيرًا، واستمرَّ في النظر إلى جدَّته بعينٍ ملأَى بالأسئلة، وكأنَّه ينتظر منها الجواب، فهمت جدَّته هذا تمامًا، لكنَّها لم تستطع أنْ تقرِّر كيف ستجيب على تلك الأسئلة، وسرعان ما تذكَّرت أمرًا حدث قبل أيام؛ يوم كانت تضع العلف في الأكياس



مع جارتها السيدة فاطمة، وفي هذه الأثناء فقدت السيدة فاطمة خاتمها المميَّز، ولم يعثُر عليه أحد رغم البحث الشديد، وعندما فقدت السيدة فاطمة الأمل اتهمَت يوسف، وحاولوا إقناعها بأنَّ يوسف لا يمكن أنْ يفعل ذلك، لكنها لم تقتنع.

عاشوا أسابيع مليئة بالكوابيس، وطالت عليهم أيام هذه المحنة ولياليها، وبذلوا كلَّ ما في وسعهم، وحاولوا أن يُخفوا تلك الواقعة عن يوسف، لكنَّ عونَ الله ﷻ ومددَه لم يتأخَّر، فالخاتم سقط في أحد أكياس العلَف، وقدَّمه يوسف مع العلَف للعجل ليأكله، وتأوَّهت جدَّته:

- آه يا سيدة فاطمة، هل لإنسان أنْ يتحمَّل ذنب طفل صغير من غير دليل؟!

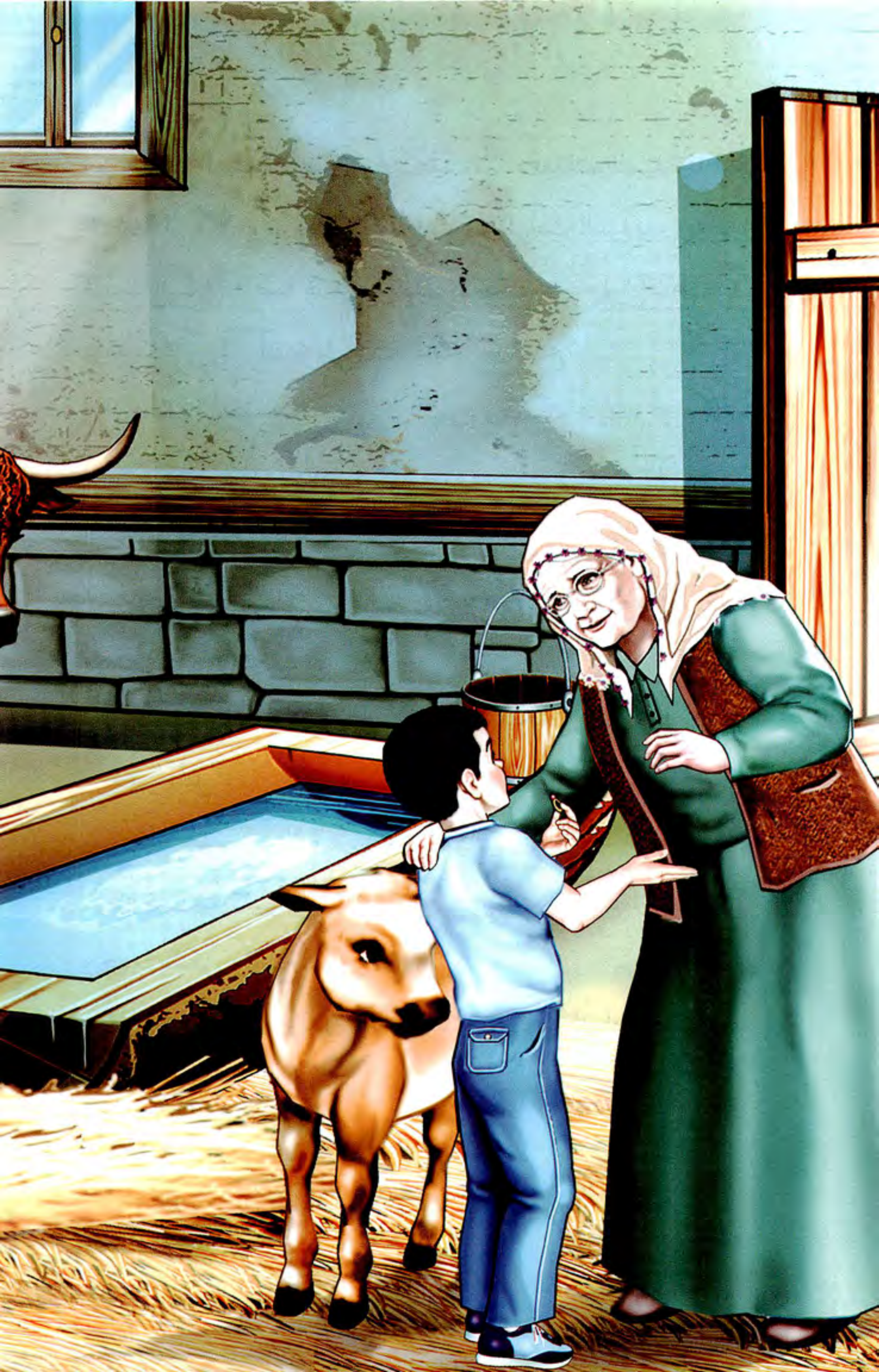
- يا جدَّتي لم لا تردِّين على سؤالي؟!

احتارت كثيرًا، فماذا ستقول، وبدت التجاعيد التي في وجهها بشكل واضح.

- هل تتذكر يا ولدي أننا قلنا لك من قبل: إنَّ أمرًا عظيمًا قد حدث؛ فطلبنا منك الدعاء.

- نعم، يا جدتي الحبيبة.

- طلبنا منك الدعاء بسببِ هذا الخاتم يا بُنيّ.



- ولِمَ كان هذا الخاتم مهمًّا كلَّ هذه الأهميَّة؟

- لأنَّ صاحبته حزنت عليه حزنًا شديدًا.

- ومنْ هي صاحبته يا جدَّتي؟

كان كلّ سؤالٍ من يوسف يضعها في موقف أكثر حرَجًا، فازدادت ضرَبات قلبها، وكثرت قطرات العرق على جبهتها، وتساقطت من فوق حاجبيها على صدغيها، وخشيت إن حكت له الحقيقة أنْ تتزعزع ثِقة يوسف في الناس، ولا سيما أهل القرية الذين أحبَّهم كثيرًا، ولكنَّها لم تستطع أنْ تكذب، فابتلعت ريقها، ثمَّ قالت:

- إنَّه للسيدة فاطمة جارتنا.

- أتقصدين أنه للجدَّة فاطمة؟!

وقبل أنْ تجيبه مسحت بظهر يدها اليمنى العرقَ الذي أغرق صُدْغَيْها، وحاولت إخفاء اضطرابها؛ إلَّا أنَّها لم تستطع أن تمنع تذبذب صوتها، فقالت:

- نعم، يا بنيَّ هذا الخاتم لها؛ عندما كنّا نملأ الكيس علفًا سقط من يدها فيه.

- إنَّها ستفرح كثيرًا عندما تسمع بوجوده، هلّا نذهب ونخبرها؟

- تُشكَر يا ولدي، أنا سأخبرها؛ وسأتحدَّث معها في بعض الأمور.

- حسنًا يا جدَّتي الحبيبة، إذًا اذهبي على الفور، وأسعدي تلك المسكينة.

سلَّمت جدَّته الخاتم للسيدة فاطمة، وحكت لها ما حدث بالتفصيل، ولم تتلفَّظ بكلمة تجرح مشاعرها، لكنَّها قالت لها:

- أرجوك، لا تخبري يوسف بما حدث؛ فأنا أرفض أنْ يتهم أحد حفيدي بالسرقة.

كان ما كان... وعاشت السيدة فاطمة حزينة على خطأ عظيم ارتكبته في حقّ يوسف الصادق الأمين، وزاد حبُّ أهل القرية ليوسف أكثر مما كان، ونصر الله يوسف وأظهر براءتَه كما أظهر براءة نبي الله يوسف عليه السلام من مثل هذه التهمة، ولكن صغيرنا ظهرت براءته بعد أيّام، أما يوسف عليه السلام فلبث في السجن بضع سنين فصبر حتى ظهرت براءته.

دموع الحب

كانت يدٌ صغيرة قد غرستني في الأرض، ما ألطف هذه الأيدي الصغيرة! كم تمنَّيت أن لا أفارقها أبدًا! وكانت هي أيضًا تتمنَّى أن لا تفارقني، ولكنّي اضطررت أن أعانق الأرض، كي أعيش وأنمو، وكنت مُفْعَمًا بأحاسيس مختلطة، إحساس بألم الفراق عن هذه الأيدي الصغيرة، وإحساس بفرحة الوصول إلى الأرض التي فتحت قلبها لي بترحيب.

كان صاحب اليدين الصغيرتين طفلًا جميلًا جدًّا؛ فبعد أن غرسني في الأرض مسح على رأسي، ثمَّ انحنى وقبَّلني قُبْلة عذبة على أوراقي الصغيرة، تمَّنيت أن لا تفارقني شفتاه أبدًا، لكنَّه اضطر أن ينفصل عنِّي؛ فقد كان مُحتاجًا للحركة والجرْي واللَّعب، وللمدرسة ولأمِّه ولوالده، ولأصدقائه، بقدر حاجتي للتُّراب؛ لذا كان عليه أن يفارقني حتمًا، كانت أحاسيسه مختلطة أيضًا، واعتدل عن مكانه بهدوء، كأنَّه ترك جزءًا من جسده على الأرض، وابتعد عنِّي مسرعًا، ثمَّ عاد مرَّةً أخرى، وانحنى تُجاهي، ثمَّ همس:



- إنّـي مضطـر لهـذا يا صديقـي الصّنوبر، ولكنّي سـأعود مرّة أخرى.

وفي تلك اللحظة سقطت دمعتان من عينيه الخضراوين فوق أوراقـي، وكانـت هاتان الدمعتـان هما أُولى ميـاه حياتي، وتمنّيت أن أعبّر عن أحاسيسـي بهذه الطريقة، ولكنّها بلا جدوى؛ لأنّه لم يكنْ باستطاعتي أن أُبادله هذه الأحاسيس، وأتمنى أنّه فهمني.

نعـم ستغدو وتـروح عليَّ بعـد ذلـك، ومـا أشـدَّ حاجتي أن أذهب معه أيضًا!

بقيـت وحيـدًا داخـل التـراب، لكنّني وإن كنـت مكتئبًـا فأنـا سـعيد؛ سـوف يسـاعدني التراب على النُّمو، وسيحتضن جذوري بقـوّة، وسـأكافئ التـراب فأحميـه مـن التـآكل بمـا أعطانـي الله من مهـارة، وأنـا أيضًـا سـوف أكبَـر وأصبح شـجرة ضخمة جـدًّا بإذن الله، وسـوف يقضي النَّاس النُّزَه في ظلّي، ويتأرجح الأطفال على فروعي، وسوف أكون ملجأً للطُّيور، لتغنّي لي بأغاريدها.

ما أجمل هذا الشُّعور! ما أجمل أن يساعد بعضنا بعضًا، وما أروع أن نقابل الوفاء والإحسان بمثلهما.

اطمأننـت، والتفـتُّ حولـي؛ فوجـدت المئـات مـن الغِـراس تشاركني الإحساس نفسه، ومرَّ يوم بعد يوم، وكان عليَّ أنْ أحْذر

مـن خطـر الحرِّ، وفجأة ذُعِرت من صوت إحدى الأقدام، وعندما فتحت عينيَّ وجدته واقفًا أمامي، وهو يبتسم لي بعينيه السّاحرتين الخضراوين كالصنوبر، الله! الله! يا لَهذا الحرِّ! أنا سعيدٌ جدًّا؛ فقد انحنـى تُجاهـي، ووضـع قُبْلتـه الجميلة مـرَّةً أخرى علـى فروعي؛ وكانـت فـي يده لوحة صغيرة عليها كتابة، حاولت أن أقرأها، كان مكتوبًا عليها «شجرة أَنَس»، وعلَّق هذه اللَّوحة الصَّغيرة بخيط من القُطـن على جذْري الدَّقيق، كم كان إحسـاس هـذا الطِّفل مُرْهَفًا! حتى إنه عندما يشد أغصاني بخيط القطن يخشى أن يضرنِّي، مع أنه خيط قطن لا يمكن أن يؤثر عليّ؛ ثم وقف بجانبي مرَّةً أخرى عـدَّة سـاعات، ونظَّـم التُّـراب علـيَّ، وسـقاني الماء، ومسـح عليَّ بلطف شديد.

وبينما هو كذلك تفكَّرت في هؤلاء النَّاس: كم هم أصحاب أرواح لطيفة؟! كم هم مشفقون؟! وكم هم أصحاب كمال؟! ومن جانبٍ آخر كنت أتساءل: لِمَ هذه الهضاب أمامي جرداء لا شجر فيهـا؟! وقبـل أيـام كان الأطفـال والشـباب والشـيوخ يتمتَّعـون في العيـد بسـعادة غرس الأشـجار! ثـمَّ تفكَّرت في شـفقة أنسٍ عليَّ، وفي الهضاب الجرداء القاحلة؛ فلم أستطع أن أفهم هذا التَّناقض، فـإذا كان النـاس هكـذا فلمـاذا الهضـاب علـى هـذا الحـال؟! وإذا

كانـت الهضـاب هكـذا فمـاذا عن النـاس الذين رأيتهـم؟! على أيَّة حال سأَفْهم مع الوقت ما يفسِّر لي هذا التّناقض، وبينما أنا أسرح في تلك المشـاعر، ودَّعني أنس وفارقني بهدوء، ولكني لم أحزن هذه المرَّة؛ لأنَّه على أية حال سيأتي مرَّة أخرى.

اشتدَّت حرارة الظُّهر، وكنت مُضطرًا لأن أفتح عينيَّ؛ فالمياه البـاردة التـي سـقاني إيَّاهـا أنـس جعلـت جسـدي الصَّغيـر يشـعر بالخمول، وأغمضت عيني، وأخذني نومٌ عميق، ولم يمض وقت طويـل حتـى شـعرت بألـم شـديد في جسـدي؛ وفتحـت عيني فإذا الظَّلام الدَّامس في كل مكان!

ظننـتُ أن الليـل قـد هجَـمَ، ولكـن لمـاذا لا أرى نجومًـا فـي السـماء؟! وبـدأ ألمـي يـزداد تدريجيًّا؛ وفـي هـذه الأثناء سـمعت مجموعة من الناس يتحدثون فيما بينهم:

- أنا قطعته أكثر، لا أنا قطعته أكثر.

وكانـوا يضحكـون، ويُحدثـون ضجَّـة وفَرْقعـات، ثـمَّ اشـتد ألمـي، وفجأة أُضيء المكان؛ وبالإضاءة شـعرت بوقوفهم جميعًا فوقي، بحيث لا أسـتطيع أن أميِّزهم، وكانوا يتسـابقون: من منهم سيقطعني؟

نعـم، الآن فهمـت لماذا غدت الهضاب جرداء؛ هذا يعني أنَّه

ليس كل النَّاس في الطِّيب سواء، ليس الجميع كأنس، وتبيَّن لي أنِّي لم أكن على صواب فيما تمنَّيته، ولا قدرة لي على ذلك؛ فعمري مقدَّر بهذا القدر، وأمانيَّ لن تتحقَّق؛ فلن أقدر بعد اليوم على إظلال الناس، ولن يتأرجح الأطفال على فروعي، ولن أكون ملجأً للطُّيور أيضًا.

يبست شيئًا فشيئًا، وازدادت حالتي سوءًا حتى كدت ألفظ أنفاسي الأخيرة، فتمنَّيت أن أرى هذا الطفل الجميل ولو مرَّة واحدة، وأن يكون آخر ما تراه عيني من الدنيا.

أعلم أنَّه قد حضر فيما بعدُ؛ ولكنِّي لم أستطع أن أراه بوضوح، لم أستطع أن أرى عينيه الخضراوين كالصَّنوبر، وهما تبرقان تبسمًا، ما هذا الذي رأيته؟! كان هذا الطِّفل الجميل يشْهَق بالبكاء، حاولت أن أبكي مثله، ولكنِّي لم أستطع؛ فأوْرِدَة الإحساس عندي دُمِّرت بركلات الأَرْجُل، وكان التُّراب الذي فوقي يبكي، يبكي من أجل هذا.

ثمَّ فارقني مُنَكَّس الرأس جريح القلب، ولم يبق له سوى مكاني الذي سيقبِّله، وأنا الآن أنتظر الموت.

حقًّا إنَّني لا أكره كلّ الناس؛ فأنا على يقين بأنَّ هناك أطفالًا كثيرين جدًّا مثل أنس.



حديث الأعداد

لم يكن الصفر يعرف حقيقة أمره، ومع ذلك لا تعجبه الأرقام الأخرى؛ لأنَّه يرى أنها لا تكافئه في القيمة، وراح الصِّفر يحكي في كلِّ مكانٍ أنَّه ذو قيمةٍ كبيرة.

وتنقَّل من مكان لآخر، ومن أقواله:

- لولاه لما كان هناك قيمة للأرقام الأخرى أبدًا، وكان يتحدَّث بما اعتقده في كلِّ مكان، وعلى أعين الملأ، وكانت الأرقام الأخرى تُدرِك أنَّ الصِّفر لا قيمة له، فقررت الأرقام التي سمعت هذا الذهابَ إلى بيت الصِّفر لتعطيه درسًا، وفي هذه الأثناء كان الصِّفر في اجتماع مع الأصفار الأخرى، وكعادته اغتاب الأرقام الأخرى أيضًا.

دُقَّ الجرس، ففتح الصِّفر الباب، فرأى الأرقام الأخرى في وجهه؛ فاحمرَّ وجهه احمرارًا شديدًا.

بكلِّ حِدَّةٍ:

- ماذا هناك؟ عمَّ تبحثين عند بابي؟!

قال الواحد:

- لقد طَرِبَتْ آذاننا بما سمعناه عن حبِّك لنا.

الصِّفر:

- أنا؟! أنا مدحتكم؟!

الرَّقْم سبعة:

- نعم؛ ولهذا اجتمعنا، وجئنا لنشكرك يا صديقنا الحبيب.

ولما رأى الرَّقْم ثلاثة ذُعر الصِّفر تدخَّل في الحديث ضاحكًا، ثمَّ قال:

- سندخل أم سنبقى على الباب؟! لا تخف يا حبيبي؛ نحن جئنا لنزورك بنيَّة صافية.

تحيّر الصِّفر، وأدخل الأرقام مُضطربًا، وهُرِعت الأصفار عندما وجدت الأرقام الأخرى في مواجهتها وأحاطت بها كالسَّفرجل، وسادت فترة طويلة من الصمت، ثمَّ بدأ الرَّقْم تسعة - أكبر الأرقام عمرًا- بالحديث، وقد نكَس رأسه إلى الأمام:

- اعذرونا لقد أزعجناكم، لكن لم نصدِّق ما يُقال، وجئنا إليكم لنعرف حقيقة الأمر.

نظـر الصِفـر صاحب البيت إلى الرَّقْم تسـعة نظـرة تحقير، ثمَّ قال:

- إنَّ مـا سـمعتموه صحيـح، اعرفوا حدودكم إذا سـمحتم؛ فنحن الذين نعطيكم القيمة.

الرَّقْم تسعة:

- ومـاذا يعنـي ذلـك؟ نحـن جميعًـا قيمتنـا الحقيقيـة تكمـن بوقـوف بعضنـا إلـى جانـب بعض، وعندمـا نفترق نصبـح قلَّة، إذا سمحتم اتركوا هذا الاختلاف.

أحد الأصفار:

- لسنا بحاجة إليكم.

ثـمَّ تدحـرج تـارة إلى الأمـام، وتارة إلى الخلـف، ثمَّ تدحرج مرَّةً أخرى إلى يمين الرَّقْم تسعة؛ ليؤكِّد لهم صحة قوله، ثمَّ قال:

- انظر، كنتَ تسعة، فأصبحتَ تسـعين؛ يعني رفعتك عشـرة أضعاف، هل فهمت قيمتي الآن؟

ثـمَّ اصطفَّـت الأصفار جميعها على يمين الرَّقْم تسـعة، وكان كلّ صفـر يسـتدير إلـى يميـن الرَّقْـم تسـعة، ويذكـر قيمتـه بتكبُّـر واستعلاء:

- أنا رفعتك مائة ضعف.

- وأنا رفعتك ألف ضعف...

الرَّقْم تسعة:

- توقَّفوا، توقَّفوا، حقًّا أنتم أصحاب قيمة كبيرة؛ لقد رفعتموني فوق طاقتي بكثير، ينبغي أن أذهب فورًا، ولْتفخروا بأنفسكم بعد أن أذهب.

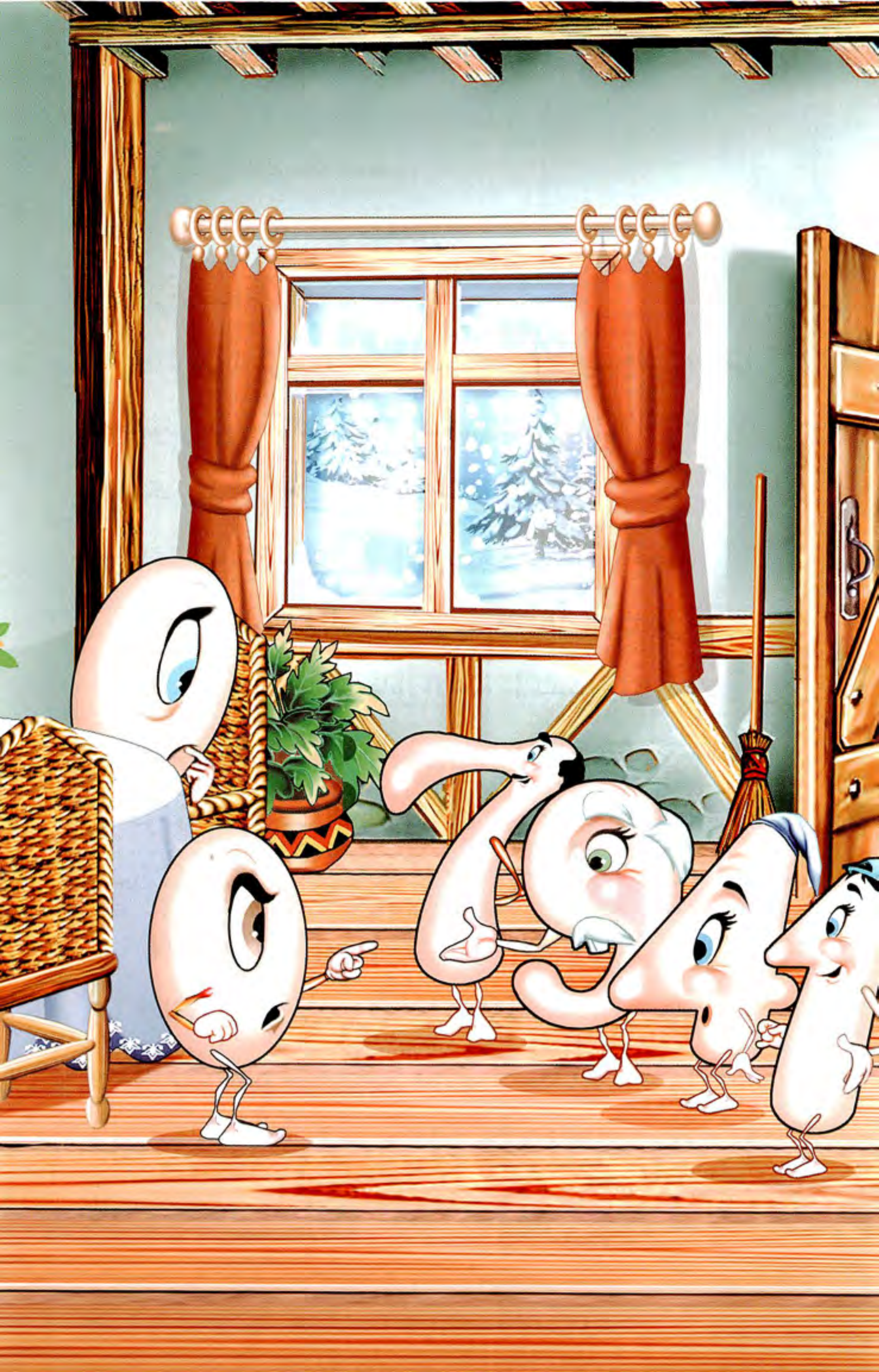
انسحب الرَّقَم تسعة إلى الزَّاوية، ثم عاد إلى الأصفار.

- هيَّا، تعالَوا إلى الجهة الأخرى، واصطفُّوا جنبًا إلى جنب، ثمَّ ليقِفْ كلُّ واحد منكم مقابل الآخر، ثمَّ ليذكر قيمته.

استدارت الأصفار من هنا ومن هناك، واصطفت واحدًا تلو الآخر، ووقفت جنبًا إلى جنب، فلم تزد قيمتها عن قيمة صفر واحد.

قال الرَّقْم تسعة بعد أن رأى خَجَل الأصفار:

- لا داعي للحُزْن، وكما قلت تزداد قيمتنا باجتماعنا مع بعضنا، وإنَّ العدد تسعة منفردًا هو بقيمة تسعة فقط، أمَّا إذا وقف أربعة أعداد من الرَّقْم تسعة جنبًا إلى جنب؛ فإنَّها تبلغ قيمة تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعين، ولكنْ مهما علت قيمتنا فلتعل؛



فـلا بـدّ من وجود الصِّفر، فلا قيمـة للأرقام إن لم يكن إلى يمنيها صفر؛ علينا جميعًا أن نحقق معنى الصفر في حياتنا؛ فالصفر معناه محو الذات والتواضع.

عبَّر الصِّفر عن موافقته على ما سمع، وكان سعيدًا بذلك.

واصل الرقم تسعة حديثه قائلًا:

- كـم تمنّيـتُ أنْ أكـون صفـرًا! لِنَنْسَ ما حـدث، ولنعش معًا إخوة من جديد، بل ينبغي أن نقف جميعًا جنبًا إلى جنب متحابِّين، ولنزِد قيمة بعضنا بالحبِّ.

بعـد هـذا الـكلام الطيـب قامت الأصفـار واعتـذرت للأرقام الأخرى، ثمَّ اجتمعت الأرقام كلُّها كأسرة واحدة.

ملاحظاتي حول الكتاب

ملاحظاتي حول الكتاب

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

الآدَابُ وَالسُّلوكِيَّات

لِلأَطْفَالِ

أيوب أوزدمير

صدر حديثا...



16x16 سم
152 صفحة

يَا وَلَدِي، تَعَالَ نَتَحَدَّثْ عَنْ آدَابِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ...

قُلْ لِي يَا وَلَدِي: مَا هِيَ الْآدَابُ الْمُهِمَّةُ فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ؟

هَلْ تَعْرِفُ آدَابَ الْمَدْرَسَةِ وَالسُّوقِ وَالْمَنْزِلِ وَالضِّيَافَةِ وَالشَّارِعِ؟

لَا لَا، لَا تَظُنَّ أَنَّ هَذِهِ الْآدَابَ مَكْتُوبَةٌ عَلَى لَوْحَةٍ فِي الشَّارِعِ، إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ فِي عُقُولِ النَّاسِ وَقُلُوبِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ، كُلُّهُمْ يَعْرِفُهَا وَيُعَاتِبُ مَنْ يُخَالِفُهَا.

لَكِنِ الْيَوْمَ وَجَدْتُ مُفَاجَأَةً، وَجَدْتُ هَذِهِ الْآدَابَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَعَ صُوَرٍ كَارِيكَاتُورِيَّةٍ، فَتَعَالَ نَتَعَلَّمْهَا لِنُطَبِّقَهَا وَتَدْعُوَ أَصْدِقَاءَكَ إِلَى تَطْبِيقِهَا.

بِسُرْعَةٍ، بِسُرْعَةٍ، هَيَّا أَسْرِعْ يَا وَلَدِي، وَهَاتِ الْكِتَابَ لِنَتَعَلَّمَ وَنُطَبِّقَ الْآنَ.

لَا، لَا، لَا تَنْسَ أَنْ تُعَلِّمَ هَذِهِ الْآدَابَ لِأَصْدِقَائِكَ، أَنَا أُحِبُّكَ يَا وَلَدِي الْمُؤَدَّبَ.

